تمهيد:

تتطلب عولمة المجتمعات المعاصرة بذل مجهودات مكثفة تهدف من خلالها إلى تحقيق قدر من الشعور بالتوحد، الذي يفترض أن توفره منظومة قيمية معيارية مشتركة. ويبدو كما هو ظاهر ان هذا القدر يواجهنا آنيا، وسيواجه مستقبليا تحديات كبرى من شانها عرقلة مساره وإخفاقه في تجسيد تطلعاته، لا لشيء فقط لان الهوية والخصوصيات النوعية، التي تؤمنها الثقافات الأم والثقافات الفرعية، والخطوط الحضارية لا تزال تمارس اليوم سلطانها في الحياة الاجتماعية عبر العديد من الأدوار الهامة التي تقوم بها عبر مؤسساتها الرسمية التنشيئية، والتي تتسم عادة بالعمق والفعالية من جهة وبالمرونة من جهة أخرى.

ولعل للدين التأثير القوى في صناعة السلوك الثقافي لدى العامة والخاصة كفلسفة حياة، وكممارسات عاداتية يومية فالظاهرة الدينية بوصفها ظاهرة اجتماعية عريقة ومتجذرة، أضحت اليوم تشكل تستقطب اهتمامات الباحثين من رجال العلم والدين والسياسة والثقافة. وهذا لقوة ارتباطها بمجريات العصر، وعلاقتها المباشرة وغير المباشرة بالأحداث الأخيرة، التي طغت على الساحة الدولية، والتي ارتبط بعضها بالظاهرة الدينية كالتطرف والتعصب وأعمال العنف والإجرام والإرهاب

واقعيا، تجليات السلوك الديني تكشف عن درجة ومدى فعاليته في إحداث التغيير الاجتماعي، وهذا بصرف النظر عن طبيعته وأهدافه، لذا فان العقلانية الراشدة والتسيير الحكيم لأجهزة الدولة المعاصرة يركز على أهمية الوقوف على عوامل وشروط الاستقرار، تحقيقا لمطلب التنمية الشاملة والوصول بالمجتمع إلى مستوى "الرفاهية "إذ يطرح الدين كأحد الركائز الهامة في تعزيز درجة التماسك الاجتماعي، وتنمية الشعور بالانتماء ومن ثم الولاء والانسجام والتكافل والتآزر والتكامل الاجتماعي وكلها عوامل مدعمة للبناء الاجتماعي للمجتمع، وتدعيم الوحدة الوطنية وتجاوز أسباب التصدع والانقسام

:الدين ومسوغاته الاجتماعية

من هنا يحيلنا تناول موضوع الممارسة الدينية الى ضرورة التركيز على مجمل تجلياته على صعيد

.يمكن للأفراد من خلالها أن يعطوا، أو يجدوا معنى لحياتهم بالتوجه إلى –والالتزام بما- يعدونه مقدسا أو/ له قيمة نهائية

ولهذا التعريف صلة بالعلوم الاجتماعية، إذ إنه يتناول السلوك الإنساني داخل الجماعات، كما يتناول الشعائر والمعتقدات التي تساعد على تحديد تلك الجماعات، كما أ ن له صلة أيضا بالعلوم الإنسانية، إذ أنه يؤكد على معنى الدين بالنسبة ملعتنقيه

تعريف الدين: يعرف الدين بانه نظام من القيم والعقائد والتصورات والافعال والطقوس الاحتفالية والمقدس والتجربة التي يعيشها الاتباع والمؤمنين في ديانة ما...

وتتنوع الديانات حسب المختصين في الدين انثروبولوجيا الاديان الي (الديانات الموحدة monotheism والتي تعتقد وتؤمن بالله الواحد كاليهودية والمسيحية والاسلام.٢تعدد الالهة polytheism والتي يعتقد الناس فيها بوجود الهة متعددة تحكم العالم والظواهر كآلهة الاغريق والرومان وديانات الهندوس والطاوية والكونفوشيوسية، إضافة الي عبدة الشياطين والملحدين الذين لا يؤمنون البتة في وجود الاه للكون...

منظورات دراسة الدين:

تحاول نظريات الدين اعطاء تفسيرات علمية ومرضية لتطور الافكار الدينية ونظم الاعتقاد والايمان، وتحديد اهم الادوار والوظائف التي يقوم بها الدين كمؤسسة من مؤسسات المجتمع.

كانت البداية الاولى في الدراسات الدينية، المساهمات التي قدمتها المنظورات التطورية تحت المسلمات العامة للنظرية التطورية لداروين، ولأصحاب تيار الانتشار الثقافي والانثروبولوجيا القديمة، والتي تنظر وتتصور ان الدين والافكار الدينية عرفها وعايشها الانسان علي مراحل زمنية منذ ان تطور ونضج عقله وتطورت قدراته المعرفية والجسمية وتطورت اللغة عند الانسان، وحسبهم فان الانسان استطاع ان يبني تصورات عن الوجود وعن معاني حدوث لبعض الظواهر الطبيعية، وكان في كل مرحلة من تطوره يبني تفسيرات ليفهم الغاية من وجوده ومعني حياته .فنظرية اوجست كونت عن مراحل تطور التفكير البشري والتي يسميها بنظرية المراحل والحالات الثلاث /المرحلة والحالة الاولي و يسميها باللاهوتية اين كان الانسان الاول يلجا الي التفسيرات الغيبية للظواهر والمرحلة الثانية يسميها بالميتافيزيقية اين لجا الي اعطاء التفسيرات ما وراء الطبيعة، والمرحلة الثالثة تخص المرحلة الوضعية او العلمية وهي اخر محطة تاريخية وصل اليها التفكير البشري وهنا اكتشف الانسان التفكير العلمي السببي ويعتقد اوجست كونت ان الانسان كلما اقترب من العلم كلما ابتعد عن القيم الدينية ويراها نوعا من الخرافات والاوهام...

اما كارل ماركس فيعتقد بان الدين افيون الشعوب ومخدر للوعي البشري، ويرتبط بمشاعر المنبوذين والمقهورين، وحسبه ان الدين افكار يروجها الدعاة والوعاظ المأجورين من قبل السلطة الحاكمة بهدف تجهيل العامة بقيم القضاء والقدر والحتمية والايمان بالجزاء في الاخرة وقبول اوضاعهم الصعبة.

وبصورة اخري يعتقد ماركس ان الدين في النهاية ما هو الا انعكاس لتفكير وقيم وايديولوجيا الطبقة البرجوازية وهو جزء من الدعاية السياسية لسلطة القيصر لزيادة الهيمنة والسطو على حقوق الكادحين من العمال والفلاحين والفقراء وزيادة اغترابهم واستلابهم الاجتماعي وقبول الاستسلام الي الواقع المفروض والمقدر ...

اما عند دوركايم فالدين يعني المقدس والمدنس والدنيوي الذي يخص الحياة اليومية، وما يعلو ويسمو عن الحس والواقع فهو مقدس ويرتبط بالدين والاخلاق والقيم والازمنة والاساطير والقصص القديمة، والناس تنجذب الي الدين والايمان في الاوقات الصعبة وفي الازمات وعندما لا يجد الانسان تفسيرا لفهم الظواهر بالتفكير والمنهج العلمي. وقد خلص دوركايم في اهم كتبه عن الاشكال والمبادئ الاولى للحياة الدينية الى فكرة مفادها ان الدين كخلاصة هو وجه اخر من التعبير الرمزي للإنسان من خلال سلطة وقدرة عليا تفوق وتفوت قدرات البشر، بالإضافة الي سلطة التقاليد والاعراف، والقوانين والاخلاق والقيم والمعايير الضابطة لسلوكيات الافراد والجماعات للحفاظ على استقرار وتوازن المجتمع، وبهذا يضفي دوركايم على الدين كتجربة الطابع المحافظ لصيانة الاخلاق وقيم الجماعة والتربية وهذه ميزة وتقليد نظري وفلسفي في النظرية الدركايمية والتيار المحافظ الوظيفي..

وكمعاصر لدوركايم لا يتفق ماكس فيبر مع هذا الطرح المحافظ للدين، ولا مع النزعة الثورية والراديكالية لموقف كارل ماركس من الدين ،بل ينظر الي الدين على انه لا يعبر بالضرورة على الافكار السائدة في الواقع كما يدعي ماركس، ولا علي الاتجاهات المحافظة للأفراد في المجتمع كما يعتقد دوركايم بل الامر يتجاوز حتى النظر الي الدين على انه يعبر عن الازمة الوحيدة والاحباطات كالحروب والمجاعة والموت والمرض ولكنه يرتبط بالتأثيرات التي تمارسها المعتقدات الدينية علي الاختيارات والمواقف اليومية التي يقوم بها الافراد والجماعات في المجتمع ...فلو لم تكن هناك تفسيرات مقبولة للأمور الدنيوية من قبل المذهب البروتستانتي لما تطورت الرأسمالية كروح اخلاقية قبل ان تتحول الي اختيارات اقتصادية ومنهجا سياسيا يبحث عن القيمة والمنفعة.. اما عند فرويد وانصاره فيصفون الدين بانه رد فعل واستجابة نفسية عندما لا توجد مثيرات او مسببات لظواهر معينة لا يوجد لها تفسير منطقي وهي كلها مصدرها الحياة اللاشعورية او اللاوعي الجمعي القديم للإنسان ولمكبوتاته.

كما يوجد اتجاه اخر يرى في الدين انه يرتبط بالسحر خاصة في المجتمعات البدائية التي تعتقد في قوة السحر الذي يؤثر في قوى الخير والشر وفي التأثير على الواقع وعلى الظواهر، فالسحر مصدر لقوة الالهة حسب مالينوفسكي.

اما حسب ماكس فيبر فالسحر يرجع الى التجربة او الفعل الديني الذي يعتقد في صحته الناس سواء كان بالمشاهدة الامبريقية او بدون مشاهدة.

حسب هذه الرؤى والمنظورات للدين يتجلى ان له دورا ووظيفة هامتين لا يمكن تجاوزهما على الرغم من انتشار الافكار اللادينيةsecularvision التي حاولت حصر وتقليل من دور الدين في المجتمعات الحديثة التي بدا يضعف فيها المعتقد الديني بسبب التقدم الحضاري والتغير الاجتماعي والعولمة والنت وظهور المجتمعات الرقمية وانتشار بعض الافكار الجديدة الداعية الي نبذ الدين والتقليل من اهميته.

وحسب علماء الاجتماع الديني يمكن حصر وظائف وادوار الدين فيما يلي:

*يمنح الدين المساعدة والرعاية الذاتية للإنسان وهو مصدر للشعور بالأمان والسلام والطمأنينة والهدوء النفسي والراحة خاصة في الاوقات الصعبة ووقت الازمات.

* الدين يعزز الروابط الاجتماعية بين افراد المجتمع وادماج كل عنصر في المجتمع.

*يعتبر الدين مصدرا للضبط والمراقبة الاجتماعية من اجل المحافظة على قيم ومعايير المجتمع لتجنب حالات عدم استقرار وتوازن المجتمع وهو بمثابة الاسمنت المسلح للمجتمع كما يراه دوركايم وهو الذي يحافظ علي الهيكل العام للنظام الاجتماعي مع النظم الاخرى كما يتصور تالكوت بارسونز رائد الوظيفية في الولايات المتحدة الامريكية...علي الرغم من الدور الذي يقوم به الدين كمؤسسة اجتماعية ،الا ان المجتمعات الحديثة خاصة الصناعية بدأت تسود فيها وتنتشر الاتجاهات اللادينية secularattitude، بسبب سرعة التغير الاجتماعي وظهور قيم جديدة ومفاهيم جديدة للدين ،وبهذا التوجه انحسر وتقلص دور الدين مقابل بروز ادوار المؤسسات الاجتماعية الاخرى كالعلم والسياسة والترفيه والميديا وثقافة شبكات التواصل الاجتماعي...

يمكننا استخلاص أن لدور العبادات دورا مساندا لمؤسسات التنشئة الاجتماعية في أي مجتمع، حيث تستهدف التخفيف الضغوطات وتقديم تفسيرات غيبية لإشكالات حيرت جموع الناس وأثارت لديهم التساؤلات، كما تسهم في نقل التراث الحضاري والإرث الإنساني الروحي من جيل الآباء إلى جيل الأبناء لا سيما من حيث ترسيخ المبادئ والأخلاق الإنسانية الفاضلة والنبيلة. كما تحث على الوحدة والتضامن والتآزر والتكافل الاجتماعي بين الأفراد من خلال نبذ العنف والظلم والفساد والانحراف كما يمكن أن تتدخل في بعض المجتمعات لتكريس الخطاب الأيديولوجي والسياسي للنظام الحاكم

وحسب بعض الابحاث يرجع نمو هذا التوجه اللادينى الى:

* تطور وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي

*الفصل بين الدولة والدين.

*التطور العلمي والتقني والتكنولوجي السريع.